

# مجلة الهلال

يوليو 2003

ماذا بعد العراق - إيران .. هل جاء دورها؟

بقلم د. رعووف عباس

جاء الإحتلال الأمريكى للعراق فى إطار المشروع الإمبراطورى الأمريكى للسيطرة على عالم لم يعد فيه منافس تخشى أمريكا بأسه ، وتأتى السيطرة على مناطق إنتاج البترول ومواطن احتياطياته الضخمة لتشكل حيز الزاوية فى المشروع الإمبراطورى الأمريكى. ما كاد الإتحاد السوفيتى يتداعى حتى هرعت الإحتكارات الإمبراطورية للحصول على إمتيازات النفط فى جمهوريات منطقة بحر قزوين التى خرجت لتوها من الحظيرة السوفيتية ، ولستغلت كل الثغرات ، ونقاط الضعف والفساد ، لتدعم مصالحها هناك. كما استثمرت حادث 11 سبتمبر 2001 لتنفذ جانباً من خطة الهيمنة على مصادر البترول بغزو أفغانستان لفتح الطريق أمام مشروع خط الأنابيب الذى يصل منطقة بحر قزوين ببحر العرب عبر أفغانستان وباكستان وأخيراً جاء إحتلال العراق ليضع مصادر بترول الخليج والعراق تحت السيطرة الأمريكية ولم يبق سوى إيران التى بدت محاصرة بين فكى الحوت الأمريكى الذى يكاد يطبق عليها من الشرق (أفغانستان) والغرب (العراق).

ولاشك أن إيران تحتل موقعاً بارزاً فى الإستراتيجية الأمريكية فى الشرق الأوسط بشقيها البترولى والسياسى فقد لعبت المخابرات المركزية الأمريكية الدور الرئيسى فى إجهاض الحركة التحررية التى قادها الدكتور محمد مصدق للتخلص من السيطرة الأجنبية وتأميم شركة النفط البريطانية وتندرت فى ذلك الحين بإزدياد نشاط الحزب الشيوعى الإيرانى وعجز الحكومة القائمة عن رده. واستطاع عملاء المخابرات الأمريكية تحريك مظاهرات فى وسط طهران فى 19 أغسطس 1953 تطالب بتخليص البلاد من الشيوعية ، وفى مساء نفس اليوم قام الجنرال فضل الله زاهدى بإنتقلاب عسكري لصالح الشاه ، أطاح بمصدق ورجاله ، وعاد الشاه من منفاه ليصبح بمثابة كلب الحراسة للمصالح الأمريكية فى الشرق الأوسط ، وليجرى بعض الإصلاحات الشكلية (استجابة لنصيحة الولايات المتحدة) فيما عرف بالثورة البيضاء ، وتغاضت أمريكا عن الحكم الإستبدادى الذى مارسه الشاه وإهدار حقوق الإنسان على يد البوليس السياسى الإيرانى (سافاك).

## الشيطان الأكبر

وعندما سقط الشاه عام 1979 على يد الثورة الإسلامية بزعامة الخميني ، تركت الولايات المتحدة الباب (مورياً) حفاظاً على مصالحها الإستراتيجية فتكررت للشاه. وضنت عليه بالعلاج والإقامة فى أراضيها ، وتركت صديقها الجديد أنور السادات ليقوم بهذا الدور نيابة عنها. ولكن أبواب إيران أوصدت فى وجه أمريكا التى أعتبرها الثوار الإيرانيون "الشيطان الأكبر" ، واستولى الحرس الثورى على السفارة الأمريكية فى طهران ، وأخذ العاملين فيها كرهائن لمدة تزيد على العام ، كما توقف التعاون التجارى تماما مع الشركات الأمريكية.

وأمام هذه التطورات اتبعت أمريكا سياسة "الإحتواء المزدوج" التى صاغها الدبلوماسى الصهيونى الأمريكى العنيد"مارتن إنديك" وتقضى بإحتواء إيران والعراق لصالح إسرائيل والمصالح البترولية الأمريكية فى السعودية والخليج. وفى ضوء تلك السياسة شجعت صدام وساعدته على شن الحرب على إيران ، ولعبت أمريكا دوراً مزدوجاً بتقديم المعلومات العسكرية لكل طرف عن خصمه من وراء ظهر الطرف الآخر ، كما قامت بتزويد الطرفين بالسلاح : فزودت صدام بالأسلحة الكيماوية ، وزودت إيران بالسلاح وقطع الغيار للمعدات العسكرية من خلال إسرائيل (وهو ما عرف بفضيحة إيران - جيت)، رغم إدراجها لإيران فى عداد "الدول الإرهابية" وفرضها عقوبات اقتصادية عليها - وخاصة فيما بين 1984، 1987 - وقيامها بأعمال عدوانية ضد إيران مثل إغراق بعض الزوارق البحرية فى الخليج وضرب منصات استخراج البترول البحرية ، وإسقاط طائرة ركاب إيرانية "مصادفة" وقتل جميع ركابها(290راكباً).

## الإحتواء الكامل للعراق

وبعدما أنهكت الحرب الإيرانية - العراقية البلدين ، وكلفتها ما يزيد على المليون نسمة من الخسائر البشرية ، واستنزفت اقتصادهما ، جاء دور الإحتواء الكامل للعراق فى حرب الخليج الأولى عام 1991 مع الإبقاء على النظام البعثى وصدام فى السلطة كشبح استخدم لتخويف دول الخليج وتدعيم الوجود الأمريكى العسكرى فى الخليج حتى إذا تم ذلك ، أصبح وجود صدام ونظامه لا نفع فيه للمصالح الأمريكية ، ومن ثم جاء إحتلال العراق ضرورة إستراتيجية لإحكام السيطرة على مصادر البترول فى الخليج إضافة إلى بترول وسط آسيا(بحر قزوين) ، وبذلك تقرض الولايات المتحدة ما تشاء من شروط على دول الإتحاد الأوروبى واليابان والصين ، كما تقرض ما تشاء من قواعد التجارة الدولية بما يكفل لها إحكام قبضتها على العالم بإعتبارها القوة الأعظم التى تقصر دونها قامات غيرها من الدول.

ولكن تبقى إيران جزيرة منعزلة وسط منطقة الهيمنة الممتدة من وسط آسيا إلى الشرق الأوسط ، ويرى اليمين الجديد الذى يوجه السياسة الأمريكية ، ويتحكم فى مراكز صناعة القرار منذ إدارة

ريجان وبوش الأب ، وحتى أيام كلينتون ، يرى في النظام الإيراني الحالي حجر عثرة في طريق بناء الإمبراطورية الأمريكية ، والمشروع الأمريكي - الصهيوني الجديد بالتعاون مع "اللجنة الأمريكية الإسرائيلية للشئون العامة" (AIPAC) ، وحكومة الليكود في الكيان الصهيوني ومن ثم أصبح التخلص من النظام الإيراني "ضرورة حيوية" لتحقيق الأهداف الصهيونية - أمريكية.

### من أركان محور الشر

وليس التخلص من النظام الإيراني وليد الساعة ، ولكن الإشارات التي أطلقتها أمريكا بهذا الصدد منذ وقوع الثورة الإيرانية عام 1979 تفوق الحصر ، ولكن إيقاعها ازداد مع إفراد اليمين الجديد بالسلطة في إدارة بوش الابن الذي راح يردد وصف إيران بالدولة الإرهابية وعدها من أركان "محور الشر" الذي ضم العراق وإيران وكوريا الشمالية ، وزاد من تصعيد العداء ضد إيران الوجود الأمريكي في العراق ، فقد أخطأ صناع السياسة الأمريكية التقدير لوزن الشيعة في العراق ، الذين يمثلون أغلبية السكان ، إذ كانوا يراهنون على أن ما عناه الشيعة من مظالم تحت حكم صدام كفيل بأن يجعلهم يهرعون إلى الترحيب بقوات "التحرير" الإنجليز - أمريكية وخاصة أن زمرة المعارضة العراقية التي تعاونت مع أمريكا جاءت غالبيتها من الشيعة ، ولعلمهم أدخلوا في روع سادتهم الجدد أن الشيعة سيحمدون لأمريكا صنعها. ولكن الواقع جاء مناقضاً لذلك : فقد اتحد الشيعة مع السنة للمطالبة بعراق مستقل يحكمه العراقيون وأعلن آية الله خامنئي - مرشد الثورة الإيرانية - صراحة وباللغة العربية في اجتماع عام أن إيران التي وقفت على الحياد عند ضرب النظام البعثي سوف تقف إلى جانب شعب العراق للتخلص من الاحتلال وإقامة حكومة عراقية يختارها العراقيون أنفسهم.

ومع تكرار حوادث المقاومة التي كلفت القوات الأمريكية ثلاثين قتيلاً في شهر واحد والمسيرات المليونية التي نظمها الشيعة في مناطق العتبات المقدسة وفي بغداد (بالتعاون مع السنة ، تزايدت احتمالات اتجاه اليمين الجديد الصهيوني - أمريكي إلى السعي للتخلص من النظام الإيراني ، وجعله الهدف العاجل الذي يلي إحتلال العراق.

### قرع طبول الحرب

ويتضح ذلك من ارتفاع أصوات طبول الحرب التي تفرع في واشنطن ولندن على السواء فركزت الصحف المعبرة عن دوائر السلطة هجوماً على إيران بصورة متواترة فهي "أخطر مركز للإرهاب الدولي" تأوى العناصر النشطة من تنظيم "القاعدة" وتقلق راحة "واحة الديمقراطية" في الشرق الأوسط "إسرائيل" برعايتها للإرهاب الموجه ضد إسرائيل (حزب الله في جنوب لبنان وفصائل المقاومة الفلسطينية). وتواترت التصريحات على لسان الرئيس الأمريكي وأركان إدارته حول إمتلاك إيران لأسلحة الدمار الشامل (الأسلحة الكيماوية)، وتطلعها إلى إنتاج السلاح

النووي من خلال بناء مفاعل نووي في بوشهر، رغم أن هذا المفاعل بنى عام 1970 في عهد الشاه ، ولم تر فيه الولايات المتحدة -عندئذ - خطراً محتملاً فإذا سعت إيران اليوم لتجديده وتحديثه وتوسيعه أصبح ذلك خطراً يهدد أمن العالم ، على حين يمثل إمتلاك إسرائيل لكل أسلحة الدمار الشامل خيراً للبشرية جمعاء.

وبدأت تعلقو عبر وسائل الإعلام الأمريكية والبريطانية المقروءة والمرئية والمسموعة ، أصوات "المعارضة الإيرانية التي تطالب بتغيير النظام الإيراني وإقامة نظام علماني ديمقراطي ليبرالي " بديل. وتوثقت الروابط بين تلك المعارضة ودوائر صنع القرار في الإدارة الأمريكية. وعاملت الإدارة الأمريكية قوات "مجاهدى خلق" المتمركزة في العراق معاملة خاصة. فأبقت لها قواعدا وسلاحها الثقيل في إطار اتفاق خاص أبرم بين قيادة مجاهدى خلق والإدارة العسكرية الأمريكية في العراق ، مما كشف عن احتمال اسناد دور إلى هذه القوات عندما تحين ساعة الصفر لإسقاط النظام الإيراني ، وتعالق أصوات "الإصلاحيين" في طهران تطالب النظام بإدخال إصلاحات دستورية دعماً للمواجهة المحتملة مع أمريكا تحقيقاً لتلاحم صفوف الشعب وراء النظام.

وتلقى رموز السلطة في طهران هذه الإشارات مدركين خطرها ودلالاتها ، فراح أحدهم يحذر في خطاب رسمي من تقديم التنازلات والإستجابة لما تطلبه أمريكا من إصلاحات لأن طريق التنازل لا نهاية له ، ولا يكفل لإيران النجاة من العدوان. وأعلن مرشد الثورة نفسه أن العدوان الأمريكى على إيران لن يحقق نصراً ، ولكنه سيلقن أمريكا درساً لن تتساه.

وتدرك إيران أنها تقف وحدها في مواجهة العدوان الأمريكى المرتقب ، فقد جاءت نتائج مؤتمر وزراء خارجية المنظمة الإسلامية مخيبة لآمال القيادة الإيرانية ، فلم تتجح في إقناع أخوة الإسلام" بالإشارة إلى الاحتلال الأمريكى للعراق بوصفه عدواناً على شعب العراق أو إدانة السياسات الأمريكية التسلطية ، فجاء البيان الختامى سلبياً مائعاً دون مستوى التحديات التي يواجهها العالم الإسلامى ، ويزداد الإحساس بها في إيران.

### وريت عرش الطاووس!

وفي نفس الوقت راحت بعض الأقسام الأمريكية تتحدث عن البديل المحتمل للنظام الإيراني بعد تحرير إيران من حكم آيات الله وعن الحكومة العلمانية الليبرالية التي تخلف نظام الحكم الحالى الشيوقراطى ، وكما سبق العدوان على العراق الحديث عن عودة الملكية إلى العراق بإعتبارها الضمان الأمثل لقيام حكم ديمقراطى ليبرالى ، هناك كتابات أمريكية تشير إلى ابن الشاه السابق ، وتتحدث عن وريت عرش الطاووس وعودته التي تكفل نجاح التحول الديمقراطى في إيران

"المحررة " فهل تتجح الولايات المتحدة الأمريكية فى السيطرة على إيران بعد تصفية النظام الثورى الإسلامى؟

إن إقدام أمريكا على التعامل مع النظام الإيرانى على طريقة ما فعلته فى العراق أمر وارد ، إذا وضعنا فى إعتبارنا حجم القوات الأمريكية المحتشدة فى الخليج ، وما قيل عن احتمال دعمها بالمزيد من القوات ، إلى جانب التصعيد المتواصل للحرب النفسية ضد إيران ، ولكن أمريكا لا تستطيع أن تقدم على مثل هذه الخطوة إلا إذا ضمنت استقرار الأمور فى العراق استقرارا تاما وهو مازالت تعجز عن تحقيقه لعوامل لم تدخلها فى الحسبان: فقد راهنت على قيام حرب أهلية طائفية ، وسمحت بتجارة السلاح فى الشوارع تحت سمعها وبصرها ، ظنا منها أن هذا السلاح سيوجه بأيدي العراقيين إلى صدور مواطنيهم ، فإذا به يستخدم ضدهم فى حركة مقاومة مرشحة للتصاعد ، هذا فضلا عن حركة الاحتجاج الشعبى المستمرة ، والعجز عن حل معضلة إقامة حكومة مدنية عراقية ، وشواهد عدم الارتياح للسياسة الأمريكية التى تبديها بعض رموز "المعارضة " العراقية التى تعاونت مع أمريكا لاسقاط نظام صدام.

لذلك نرى أن العدوان على إيران صعب التحقيق على ضوء معطيات الموقف الراهن ، ولعل الولايات المتحدة تبحث عن سبيل آخر لإسقاط النظام من الداخل بتشجيع عناصر المعارضة الإيرانية على إقامة حالة من الفوضى من داخل حركة المطالبة بالإصلاح يستغلها أحد الجنرالات للقيام بإنقلاب على طريقة فضل الله زاهدى لحساب أمريكا.

ولا يبقى أمام إيران من سبيل للإفلات من الفخ الأمريكى سوى العمل على دعم الجبهة الداخلية دعماً حقيقياً ، والاستجابة لمطالب دعاة الإصلاح من داخل النظام ، مع التركيز على التخلص من العزلة التى تحاول أمريكا أن تدفعها إليها بفتح قنوات التعاون على المستويين الإقليمى والدولى مع الدول التى تعارض الهيمنة الأمريكية ، وأن تظل - فى نفس الوقت- تتحسب للعدوان بخطة رصينة للمقاومة تستوعب دروس ما حدث فى العراق.